وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المتعتان بين النص والاجتهاد

طاهر الموسوى

مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامى طبقا لمذهب اهل البيت (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيد المرسلين محمدوعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تحت هذه العنوان: (المتعتان بين النص والاجتهاد)،يعرف الكاتب بمساله تشريعيه هامه وهى مساله النص والاجتهاد فى الشريعه، كما يعرف بمساله الموقف المتعامل مع ورثه الاجتهاد كنص مقدس، ويوضح خطا هذا الاتجاه اسلاميا. وموضوع الدراسه فى هذا الكتاب يدور حول اجتهاد الخليفه عمر بن الخطاب مقابل مواقف نصيه صدرت عن الرسول(ص)تتعلق بمتعه الحج ومتعه النسا ومسائل اخرى كمساله الطلاق، كما يتعرض الكاتب ايضا الى الموقف المذهبى المتوارث من تلك الاجتهادات، وفى هذه الرداسه ايضا اتخذ من كتاب الغدير لمولفه الشيخ عبدالحسين الامينى (ره)اساسا ومنطلقا لدراسته لهاتين المسالتين:

وعند الحديث عن النص والاجتهاد المصطلحين الاصوليين الهامين فى عالم الفكر الاسلامى ينبغى توضيحهما وتحديددائره كل منهما، والموقف الشرعى منه، والكاتب فى حواره مع اجتهاد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب، يعرف بالنص، كمايراه الاصوليون وهو اللفظ الذى لا يحتمل اكثر من معنى، ولا يحمل اكثر من دلاله، لذا فلا مجال للاجتهاد فيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اما الاجتهاد فمجاله الموارد التى تحتمل اكثر من معنى. لذا ثبتت القاعده القائله: (لا اجتهاد مع النص).

ومثل هذا الحوار: حوار النص والاجتهاد. ليس مساله يتوقف مفهومها واثرها عند مسائل ومفردات مثاره، امثال متعه النسا، ومتعه الحج والطلاق، بل هى مساله تمتد جذورها الى مفهوم اعمق، ونظريه اشمل، كما يذكرها الفقيه الراحل،الشهيد السيد محمدباقر الصدر فى كتابه (نشاه الشيعه والتشيع) المشار اليه فى هذا وفى التدقيق فى نظريه المتقبلين لفكره الاجتهاد مقابل النص نجد خطا بين الاجتهاد الموضوعى، والاجتهاد فى الحكم، عداما فيها من خطا فى الموقف من النص.

ذلك لان الاجتهاد: هو عمليه استنباط الحكم من الدليل، لا يمتد ليكون موقفا حكميا من النص القطعى الدلاله. ان الاجتهاد فى هذه الحاله لا يعنى الا اسقاط الحكم واستبداله بغيره من غير دليل مسوغ، سوى تقديرات وقناعات شخصيه ومواقف من يرى لنفسه صلاحيه الاجتهاد هذه. وكثيرا ما وقع الخلط فيها بين الحكم والموضوع كاعتباره لتحقق الفراق بين الزوج وزوجته الذى لا تجوز العوده معه الى الزوج الا بعد ان تتزوج غيره بمجرد قول الزوج للزوجه، انت طالق ثلاث مرات فى مجلس واحد، فى حين ان هذه التطليقات تعد تطليقه واحده كما يقطع النص بذلك، والكتاب يوضح ان هذا النمط من الاجتهاد مبنى على حساب تقديرى يصرح به صاحبه وهو ان هذا التشديد هو للتضييق على الناس، ليمتنعوا عن الاكثارمن الطلاق. وبذا نقرا الرد على هذا الاتجاه فى كتاب (المتعتان بين النص والاجتهاد) بانه اجتهاد انطلق من خلفيه وموروث اجتماعى كانت العرب تمارسه قبل الاسلام، اذ كانوا يعملون بهذا النمط من الطلاق. وليس اجتهادا علميا. من سنخ الاجتهادالمجاز فى الشريعه وهو استنباط الحكم من دليله.

وجات المناقشه هذه مع اجتهاد الخليفه عمر، او بالاحرى مع هذه النظريه. مبنيه على ادله شرعيه، وتحليلات علميه.

ومركز الغدير اذ يتبنى نشر هذا الكتاب انما يعسى لتعميق روح الوعى لمفهوم النص والاجتهاد وتسليط الضوء على قضايا اسيء فهمها، وكذا فتح آفاق الحوار العلمى فى قضايا الفقه واصوله بين المذاهب والمدارس الاسلاميه، خدمه للفكرالاسلامى وتعميقا للفائده.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نسال الله سبحانه التسديد وقوبل العمل انه سميع مجيب مركز الغدير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(صدع رسول الله(ص) برساله ربه فامن به من آمن وكفر بنبوته من كفر. وككل المومنين واتباع الرسالات فى التاريخ كان المومنون برساله الاسلام متفاوتين فى تلقيهم الرساله الجديده وتفاعلهم معها. فمن هولا من محض الايمان محضا، واعطى ازمه قياده للدين الجديد، فاثبت فى مواردالاختبار انه يعيش القيم الجديده عقيده وموقفا وسلوكا. ومنهم من حمل معه هذا القدر او ذاك من قيم الماضى واخلاقياته، فلم يستطع التخفف من عب ء هذه القيم وتاثيرها فى سلوكه، بل كانت هذه تزاحم العقيده الجديده وتطل براسها بين الفينه والاخرى معلنه عن نفسها بهذا الموقف او ذاك.

والمتتبع لحياه الرساله وتاريخ التجربه الاسلاميه زمن الرسول(ص) يمكنه التاشير على اتجاهين رئيسيين ينتظمان المومنين بهذه الرساله، ويعبر كل واحد منهما عن فهم معين للعلاقه بهذه الرساله والتفاعل معها. واحد هذين الاتجاهين هو التسليم المطلق بالنص الدينى والتعبد به كتابا كان او سنه، لافرق فى هذا التسليم بين ان يكون النص يعالج قضيه غيبيه او عباديه اواجتماعيه او غير ذلك.

والاتجاه الاخر: هو الاتجاه الذى يضيق من سلطه النص ويحصر مرجعيته فى اطار محدد من القضايا الغيبيه والعباديه، ويعطى لنفسه حق التصرف بتجميد او تعطيل النص وفقما يراه من المصلحه وبحسب تغير الظروف والاوضاع.

وهذا الاختلاف فى فهم النص الدينى والموقف منه ادى الى ظهور تيارين داخل الامه الواحده والى بروز نتائج عقائديه وسياسيه لهذا الاختلاف، فقدقدر لممثلى الاتجاه الثانى، اى تيار الانتقا فى التعامل مع النص، ان يسودممثلا رسميا للاسلام على الصعيدين السياسى والعقائدى فى حين انكفاتيار الانقياد للنص يمارس وجوده العقائدى ونشاطه الفكرى والسياسى فى اطار الامه الاسلاميه العام كاقليه معارضه حملت منذ البدء اسم (الشيعه)((1)).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولسنا هنا بصدد الحديث عن النتائج العقائديه لهذا الاختلاف وما ادى اليه من الصراعات السياسيه الداميه وما قاد اليه من الانحراف عن تعاليم الشريعه نصا وروحا، فهذا الموضوع له مجاله الخاص من البحث والدراسه. ما يعنينا هو تسليط الضوء على ظاهره ماسمى بالاجتهاد بما هى ظاهره تكرر حدوثها زمن الرسول(ص) وبعد وفاته. واستشفاف دلالاتها و خلفياتها.

والمقصود بالاجتهاد هنا هو الاعتراض على ما بلغه رسول اللّهللناس او تغييره قرآنا كان او سنه، وسوا كان المبلغ قضيه غيبيه او حكماشرعيا فى قضيه اجتماعيه او سياسيه. وبعباره اخرى هو الاعتراض على ماصدر عن رسول الله وتضمن معالجه وتنظيما لحياه الفرد او الجماعه، وبهذانعرف ان الاجتهاد هنا لا يعبر عن راى فى اطار الشريعه ولا عن جهدلاستكشاف موقفها من هذه القضيه او تلك، بل انه يعبر عن حاله من المعارضه والموقف من الشريعه ذاتها.

ولا نرغب ان نقود القارىء بهذا الكلام الى الاغراق فى الاستنتاج، فنحن لانريد التفتيش عن النوايا واصدار الاحكام على اصحابها بل ما نريده هوتقويم الاعمال فى ضوء الضوابط التى حددتها الرساله وطالبت اتباعهابالالتزام بها. فبصرف النظر عن نوايا هولا (المجتهدين) وموقفهم الحقيقى من الرساله يبقى ما صدر عنهم فى هذا المجال – وهو كثير – يمثل بظاهره مخالفه صريحه لاسس الايمان بالرساله ومقوماتها من مثل قوله تعالى (ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا((2)) وقوله (وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)((3)).

والناظر فى حالات الاجتهاد مقابل النص التى حصلت فى حياه الرسول(ص)وبعد انتقاله الى الدار الاخرى والتى عبرت فى كثير من مواردها عن معارضه صريحه وفجه لقرارات الرسول ومواقفه سيجد ان للخليفه عمر بن الخطاب الحظ الاوفر من مصاديق الاجتهاد هذه.

فقد عرف عن هذا الخليفه مواقفه الاجتهاديه الجريئه قبال مواقف الرسول وما كان يبلغه للمومنين من احكام، وما يصدره من اوامر او يتخذه من مواقف. ومواقف الخليفه الاجتهاديه هذه استوعبت حياته فى الاسلام كلها، ووجدت مجالها الاوسع فى التطبيق عند استلامه مقاليد الحكم وصيرورته خليفه على المسلمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

متعه النسا

يكتسى الحديث عن هذا الموضوع اهميه خاصه ويقتضى قدرا من التانى فى المعالجه لما جرى بسببه من التشويه والتشنيع على مذهب اهل البيت وما حصل فيه من افتئات على وقائع التاريخ واحداثه. فهذه المفرده من اجتهادات الخليفه عمر بن الخطاب نموذج صارخ لاجتهاداته المعارضه للكتاب والسنه والتى تحولت – كما اشرنا فى اوائل الكتاب – الى سنه يتعبدبها ويدان من يخالفها. وسنرى من خلال البحث ان هذا النموذج تعرض لنفس المقاييس فى المعالجه التى تعرضت لها اجتهادات الخليفه الاخرى،وخضع لنفس آليه التبرير فى البحث واستخلاص النتائج التى خضعت لها.

وسنلقى فى هذا البحث الضوء على مجموعه من المسائل المتعلقه بهذه القضيه التى اثير حولها الكثير من الجدل والتشكيك. وهذه المسائل هى:

1 – كيف نفهم هذه القضيه فى ضوء روح الشريعه وملامتها لفطره الانسان وحاجاته الاساسيه.

2 – عوامل رفض المتعه والموقف السلبى منها.

3 – المتعه كحل مشروع لازمه الجنس التى افرزتها ظروف الحياه العصريه وتعقيداتها الاجتماعيه.

4 – نهى عمر عن المتعه ودوافع هذا النهى.

5 – الموولون ومتعه النسا.

وقبل ان نفصل الحديث فى المحاور الرئيسيه للبحث نود الاشاره الى ان اصطلاح المتعه هو اصطلاح قرآنى جرى استعماله للاشاره الى نوع معين من العلاقه الزوجيه القائمه على الاستمتاع الجنسى كدافع مقصود اساسامن بين الدوافع الاخرى.((195))وهذه العلاقه محدده بفتره زمنيه موقته يتفق عليهاالطرفان، فهى علاقه تنفصم تلقائيا بانتها هذه الفتره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولهذا يطلق على هذاالنوع من الزواج بالزواج الموقت تمييزا له عن الزواج الدائم الذى ينتهى اما بالطلاق او الرده او الموت.

ومع ان غرض الاستمتاع يكون فى كثير من الاحيان هو الدافع من الاقدام على الزواج الدائم فيكون دافعا مشتركا بين كلا النوعين من الزواج ولهذاصح اجراوهما كليهما بلفظ (متعتك) الا ان ما يترتب على حاله الاستمراريه والدوام فى هذا الزواج – نسبه الى الزواج الموقت – من انجاب الولد والفه الحياه العائليه وانكسار حده الغريزه الجنسيه مع التقدم فى العمر يسقط غرض الاستمتاع عن كونه عاملا وحيدا فى بقا هذا النوع من الزواج واستمراره.

وبنا على هذا ندرك خطا البعض فى استسلامهم لما جرت عليه عاده الذهن من الجمع بين مفهومى الفجور والاستمتاع الجنسى، وتسريته خطامعنى الفجور لكل اشكال هذا الاستمتاع. ونعرف ايضا ان قصد الاستمتاع بحد ذاته ليس امرا معيبا من الناحيه الشرعيه والاخلاقيه بدليل ان هذاالقصد كثيرا ما يكون مشتركا بين نوعى الزواج: الدائم والموقت، بل المعيب هو كيفيه معينه من هذا الاستمتاع وشرائط خاصه فى تحققه،وسياتى تفصيل الحديث فى هذا الموضوع قريبا ان شا الله.

« 1» كيف نفهم المتعه فى ضوء روح الشريعه وملامتها لحاجات الانسان الاساسيه الحديث عن هذا الموضوع يحتاج منا ان نعرف حكم الاسلام وموقفه من الدوافع الغريزيه والحاجات البيولوجيه للانسان وكيفيه اشباعها.

الاسلام شريعه الله ورسالته الخاتمه الى البشريه، ولانه الرساله الخاتمه فهويجعل الانسان ببعديه محوره ومركز اهتمامه.

الانسان ببعده الافقى، اى البشريه بكل اعراقها ودمائها والوانها، سوا عاشت فى عصر الرساله اوامتدت فى عمود الزمن حتى يرث الله الارض ومن عليها. والانسان ببعده العمودى، بروحه وعقله وجسده، باشواقه وافكاره وغرائره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذه الشموليه فى اهتمام الاسلام بالانسان واستيعابه لشوونه فى كل زمان ومكان جعل معالجاته ونظرته لحاجات الانسان وغرائزه تتسم بالاعتدال والوسطيه والتقدير المرتكز على الفطره (فطره الله التى فطر الناس عليها)((196)) واستدعت نوعا من التوازن والموامه بين هذه الحاجات والدوافع والابعاد لضمان سعادته فردا وجماعه، فطرحت بذلك نموذجا للانسان الذى يتصالح فى شخصيته الروح والجسد. وتلتقى عنده الارض بالسما. الانسان الذى شعاره فى الحياه قوله تعالى (قل من حرم زينه الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)((197)) وقوله (وابتغ فيماآتاك الله الدار الاخره ولا تنس نصيبك من الدنيا)((198)). الاسلام لا يلغى دوافع الغريزه لدى الانسان ولا يتغافل عنها، بل انه لا يلبى ندا هذه الدوافع او يعطيها حقها فى الاشباع والتحقق فحسب، وانما يعتبرالاستجابه لهذه الدوافع – ضمن الوسائل والكيفيه التى حددها لذلك – عملايستحق عليه الاجر والثواب، وطريقا لتكامله الروحى والاخلاقى.

والاسلام لا ينظر بريبه لدوافع الغريزه عند الانسان، ولا يعتبر قتلها اواضعافها هو سلم الصعود والرقى فى مراتب الكمال كما فعلت المسيحيه المحرفه مثلا، التى جعلت من التبتل وقهر نوازع الجسد طريق الانسان الوحيد لخلاصه الروحى كما تحب ان تعبر، بل يعتبر هذه الدوافع الجزءالذى تكتمل به معادله الخلافه فى شخصيه الانسان الخليفه، فلا يتحقق مفهوم الخلافه الا من خلال هذه الثنائيه وتفاعل طرفيها. وان اى حيف باحد هذين الطرفين يعد انتكاسا فى مسيره التكامل التى ارادها اللّهتعالى للانسان.

والحقيقه ان مثل هذا التجاهل للنوازع الغريزيه والاخلال بحاله التوازن بين طرفى الشخصيه لا يودى سوى الى اطلاق العنان لهذه الغرائز، والايغال فى اشباعها بكافه الوسائل، فالطبيعه تفضل – دوما – التعبير عن نفسهاواستيفاها حقها، فهى تقبل التهذيب والتوجيه والترشيد، ولكنها تتمردعلى الالغا والشطب والاهمال.

وقد كان من نتائج هذا الفصل بين قطبى الكيان الانسانى (الروح والجسد)وتصوير ان العلاقه بينهما هى علاقه تقابل وتضاد، وان لا مكان لاحدهما الا على حساب الاخر، ان انفصل كل منهما عن الاخر وابتعد عن صاحبه يعبر عن نفسه ويستوفى حاجاته على طريقته الخاصه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويمكننا تشخيص هذه الحقيقه من خلال ملاحظتنا لوضع الانسان الغربى اليوم والحال الذى آل اليه على هذا الصعيد.

فهذا الانسان الذى شادحضاره تعبر ركائزها الفلسفيه ونظرتها عن الكون والحياه عن رد فعل رافض لهذه المسيحيه ومفهومها عن الانسان... هذا الانسان وجد امامه الحكمه المسيحيه القائله:

ما لله لله وما لقيصر لقيصر. ولكنه بدلا من ان يختار الدخول – كما تريد المسيحيه – فى ملكوت الله بالتعالى على مالقيصراختار هذا الانسان جانب قيصر. وكان قيصره هذه المره هو الجسد بنوازعه ورغباته وغرائزه. الجسد الذى استطال فى ظل هذه الحضاره وتعملق حتى عز عليه الدخول فى ملكوت الله! الجسد الذى لم يكتف فى استطالته ان يكون قيصر هذه الحضاره فحسب، بل ارغم اهلها ان يكون شعارهم فى الحياه:مالله لقيصر ومالقيصر لقيصر! ان هذا التباين فى النظره للدوافع الغريزيه يجعلنا نفترض تصورا اعمق للاساس او المفهوم الفلسفى الذى ترتكز عليه هاتان النظرتان المتفاوتتان.

فصفه الواقعيه فى نظره الاسلام لهذا الدوافع تتصل بمفهوم آخر وتعبرعنه، ونعنى به مفهوم الحياديه لهذه الدوافع، فهذه الغرائز المودعه فى كيان الانسان لا يصح ان توصف بشر ولاخير، وليست قابله – بذاتها – لان تتحمل حكما اخلاقيا نصدره عليها، بل ان الذى يتحمل مثل هذا الحكم هو الفعل الانسانى الذى يتصرف فى هذه الدوافع ويتعامل معها. الفعل الحر الذى يجعل الانسان مسوولا امام خالقه والذى يحدد نجاحه اواخفاقه فى تحقيق مفهوم الخلافه. الفعل الذى يجعل الانسان صانع مصيره ويجعله وحده مسولا عن خطيئاته وشروره.

ويمكننا على هذا الصعيد ان نفترض ايضا ان النظره السلبيه لهذه الدوافع تتصل هى بدورها بمفهوم آخر يعد حجر الزاويه فى الفكر المسيحى المحرف ونعنى به مفهوم الخطيئه. فهذه المسيحيه تعتقد ان وجود الانسان على هذه الارض انما هو لاجل التكفير عن الخطيئه التى ارتكبها ابواه وطردا بسببها من الجنه فهو – على هذا – يحمل على كاهله دوما شعورا باثم لم يرتكبه ويعانى عقده ذنب لم تجنه يداه، وليس امامه من طريق للخلاص من هذا الشعور سوى واد الدوافع الحسيه التى كانت السبب فى هبوط الانسان وارتكابه الشرور على هذه الارض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبهذا فان مفهوم الخطيئه يتحمل مسووليه كبرى عما استقر فى اللاوعى المسيحى من احساس بالاثم وما نجم عن هذا الاحساس من استرابه بدوافع الغريزه فى الانسان.

وقد كانت هذه النظره السلبيه بمفهومها العقائدى المنحرف سببا فى توجيه الكثير من الطعون والاتهامات الظالمه للاسلام ونبيه الكريم.

فاتهموا الاسلام بانه دين يهتم بما هو عادى وغير دينى من الامور، وانه دين شهواتى يعطى للغريزه الجنسيه مساحه واسعه من تشريعاته وخطابه للمومنين به. وقد تعاضد الانحراف العقائدى للمسيحيه مع العب ء النفسى للمواجهه التاريخيه بينها وبين الاسلام فى اذكا ضراوه هذا الهجوم وتحويله الى نوع من السعار العصابى الذى يلغى حدود العقل ويمحومقاييسه فى اصدار الاحكام، بحيث تحول الاسلام لدى هولا من موضوع للدراسه والتقييم الى ما يشبه العقده التاريخيه التى تذكر بماض ملىءبالهزائم وتشى بمستقبل لايعد بشىء.

وهكذا انصب هجوم هولا وتشنيعهم على التشريعات الاسلاميه التى تنظم العلاقه بين الرجل والمراه، فركزوا هجومهم على تشريع تعددالزوجات واعتبروه دليلا على ايلا الاسلام اهتماما خاصا لغرائز الرجل وشهواته الجنسيه وعدوه نوعا من الامتهان لكرامه المراه وانسانيتها، من دون ان يهتموا فى هذا التشنيع بالاثار الاجتماعيه والاخلاقيه الخطيره المترتبه على عدم وجود مثل هذا التشريع، والتى كان منها شيوع العلاقات الجنسيه غير المشروعه بين الرجل والمراه على نطاق كبير فى المجتمع الغربى وما افرزته هذه العلاقات من تخلل وتفكك ظاهر فى الروابطالاجتماعيه بشكل عام. فهذه النتائج الضاره لرفض تعدد الزوجات لم ترغم المسيحيه على تعديل موقفها وجعله اكثر واقعيه وانسجاما مع حاجات الانسان وتكوينه الفطرى بل انها تغاضت عن الفوضى الجنسيه الضاربه فى المجتمع الغربى واكتفت فى علاجها بارسال المواعظ والنصائح دون ان تضع علاجا عمليا لهذه المشكله المتفاقمه.

يقول الشهيد مطهرى فى كتابه نظام حقوق المراه فى الاسلام:قرانا فى الصحف الايرانيه قبل عده اعوام انه على اثر الخسائر الكبيره التى قدمها الالمان فى الحرب العالميه الثانيه فى عدد الرجال فقد حرمت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اعدادكبيره من النسا من الحصول على زوج قانونى وبيت، وقد ضغطت هولاالنسوه على الحكومه طالبات الغا قانون الزوجه الواحده واقرار قانون تعدد الزوجات.

وقد طلبت الحكومه الالمانيه رسميا من الجامع الازهرارشاداته بهذا الخصوص، ولكننا علمنا بعد ذلك ان الكنيسه عارضت هذاالموضوع معارضه شديده، اذ كانت تفضل حرمان النسا من حقوقهن اوبالاحرى تفضل شيوع الفحشا على تبنى برنامج شرقى اسلامى هاتان اذانظرتان متقابلتان للدافع الجنسى، نظره مجافيه للفطره تتجه الى اعتبار الدافع الجنسى شرا لابد منه، وانه ينبغى النظر بريبه للاحساس بالمتعه المصاحب للاشباع هذا الدافع، فالغرض من الدافع الجنسى – بحسب هذا النظره – هو حفظ النوع بانجاب الولد وتكثيرالنسل، واما الاستمتاع باشباعه فهى حاله هابطه لاتتفق مع ما ينبغى من السمو والارتفاع فى السلوك الانسانى.

والنظره الاخرى نظره الاسلام التى تعترف بهذا الدافع وتتعامل معه بواقعيه باعتباره حاجه اصيله لابد من اشباعها، شانها فى ذلك شان حاجات الانسان الاخرى، وترى الاستمتاع باشباعها وفق الضوابط الشرعيه من الطيبات المباحه للانسان.

ولا يمكننا هنا استعراض جميع الاخبار والروايات الوارده بشان تقرير هذاالدافع واعتباره نزوعا فطريا لاعيب فى اشباعه او الاستجابه له، وانما نشيرفقط الى قسم من هذه الاخبار، وفى بعضها صحح رسول الله(ص) اتجاه بعض الصحابه الخطىء فى فهم هذا الجانب.

اخرج الدارمى عن سعد بن ابى وقاص، قال: لما كان من امر عثمان بن مظعون الذى كان ممن ترك النسا بعث اليه رسول الله(ص) فقال: يا عثمان ابى لم اومر بالرهبانيه ارغبت عن سنتى؟ قال: لا يارسول الله. قال: ان من سنتى ان اصلى وانام واطعم وانكح واطلق فمن رغب عن سنتى فليس منى. قال سعد: فوالله لقد كان اجمع رجال من المسلمين على ان رسول اللّهان هو اقر عثمان على ماهو عليه ان تختصى فنتبتل((199)). واخرج المتقى الهندى فى كنز العمال عن ابى هريره: ان الله ليعجب من مداعبه الرجل زوجته ويكتب لهما بذلك اجرا ويجعل لهما بذلك رزقاحلالا((200)).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعن ابى قلابه مرسلا: من تبتل فليس منا((201)).

وعن ابى نجيح مرسلا: مسكين مسكين مسكين رجل ليس له امراه((202)).

« 2» عوامل رفض المتعه والموقف السلبى منها

لقد قصدنا من خلال الاسهاب فى المقارنه بين راى الاسلام ونظره المسيحيه فى هذه المساله الى تسليط الضوء من كافه الجوانب على هذه القضيه، لكى يتبين لنا اهميه تشريع الزواج الموقت كواحد من الحلول التى وضعها الاسلام لعلاج المشكله الجنسيه، ويتبين لنا ايضا السياق الطبيعى المرتكز على الواقعيه لسلسله الحلول التى شرعها الاسلام لهذه القضيه،ومن ضمنها زواج المتعه فننظر اليه على هذا الاساس بعيدا عن العقدالاجتماعيه او الحساسيات التى ادت اليها التربيه واورثتها القيم السائده.

نعتقد ان موقف الرافضين لهذا النوع من الزواج يرتكز على اساسين اثنين تداخلا فيما بينهما وكونا موقفا يتسم فى كثير من الاحيان بالحده والقسوه،وهما:

الاول: العامل الاجتماعى:

ونعنى به القيم الاجتماعيه السائده والمتوارثه عبر الاجيال والتاريخ، فان من الامور التى تنظر اليها مجتمعاتنا بحساسيه بالغه وحذرشديد هى مساله العلاقه الجنسيه بين الرجل والمراه، وقد ارتبط نوع هذه العلاقه بمفهوم قيمى حرص انسان هذه المجتمعات على المحافظه عليه والدفاع عنه بكل وسيله، وهو مفهوم الكرامه والشرف. ولم يات هذاالارتباط بين الامرين اعتباطا او دون مناسبه. بل انه تحقق عبر سلسله من الاحتكاكات الاجتماعيه العنيفه والتى كانت المراه بحكم وضعها هى الضحيه الاولى فيها، حيث كانت غرضا مستمرا لغارات الاخرين واستهدافها كموضوع للاشباع الجنسى، وقد كان الفوز بالمراه وانتزاعهامن ذويها على هذا النحو حدثا يشعر هولا بالعار والعجز، الامر الذى جعل الدفاع عنها قضيه مرتبطه بشرف الاسره او القبيله، واعطى للتضحيه فى هذا السبيل كل معانى النبل والشرف والفروسيه. ولا شك فى وجودهذا المعنى لدى الكثير من المجتمعات الانسانيه للتشابه فى السياق التاريخى لتطور هذه المجتمعات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وانتقالها من حاله البداوه الى الحاله الحضريه. غير اننا يمكن ان نعد المجتمع العربى حاله نموذجيه على بروزهذه المعانى وتكريسها كثوابت فى منظومه القيم الاجتماعيه لديه وذلك لسببين.

الاول: قرب عهد المجتمع العربى – نسبيا – بحاله البداوه وقوه تاثير القيم البدويه فى انماط السلوك لهذا المجتمع.

الثانى: وفره النصوص التاريخيه التى تلقى الضوء على طبيعه الحياه الاجتماعيه للعرب قبل الاسلام وموقع هذه القيم فى حياه هولا.

لقد مر المجتمع العربى، نتيجه لظروف البيئه القاسيه التى كان يعيشها قبل الاسلام، بحاله من التطاحن الاجتماعى المستند الى فكره الغلبه وتمجيد منطق القوه. وفى مثل هذا الجو القاسى وامام عنف الرجال وقسوتهم الجامحه لم تكن المراه فى وضع يمكنها من الدفاع عن نفسهاويحميها من الاخطار التى كانت تواجهها، بل كانت فى كثير من الاحيان هدفا للمغيرين وجزءا من الغنيمه التى يفوز بها المحارب ويسوقها مع غيرها مما يغنم الى مضارب قبيلته.

وبقدر ما يكون هذا العمل مدعاه لاثاره احاسيس الفخر والقوه لدى هولاالمغيرين وكل افراد القبيله التى ينتمون اليها فانه كان سببا لاثاره الشعوربالعار والخزى لدى افراد القبيله المنكوبه. وقد دفع ضعف المراه وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها وقبيلتها وما يترتب على هذا من امتهان لكرامه ذويها وشرف القبيله التى تنتمى اليها، دفع بعض القبائل العربيه الى النظر للمراه كعب ء لا يمكن تحمله ويفضل التخلص منه حفاظا على مقام القبيله وسمعتها بين القبائل، فبرزت ظاهره الواد التى اشار اليها القرآن الكريم وادانها، كحل عملى وسريع لهذه المشكله((203)).

ان ظاهره واد البنات وان لم تكن شائعه على نطاق واسع، بل كانت عاده مارستها فى بعض الاحيان قبيله او اثنتان من القبائل العربيه فانها تشيربوضوح الى حساسيه العربى وضيقه بكل ما يتصل بالمراه التى ينتسب اليهامن معان جنسيه، وحرصه المبالغ فيه على صونها من ان تكون موضوعالشهوات الاخرين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ورغباتهم. ومن الطبيعى فى مثل هذه البيئه المشبعه بالحساسيه تجاه السلوك الجنسى للمراه ان لا ينظر المجتمع بعين الارتياح لاى علاقه لها بالرجل خارج العلاقه الرسميه الشائعه بينهما، ونعنى بهاعلاقه الزواج الدائم.

ويمكننا ان نعرف قوه تاثير هذه القيم فى المجتمع العربى التى تجعل الرجل محورا تدور به ومن حوله ولاجله كل وجوه النشاط الانسانى فى المجتمع اذا عرفنا التفاوت الكبير الذى يصل الى حد المفارقه بين نظره المجتمع الى السلوك الجنسى للرجل ونظرته للسلوك الجنسى للمراه. فان هذا المجتمع، فى الوقت الذى يقمع بشده كل بادره من المراه فى هذاالمجال خارج الاطار الرسمى المعترف به فانه قد ينظر بعين الاعجاب والاكبار لمغامرات الرجل الجنسيه ويعدها دليلا على رجولته وفتوته،فظهرت نتيجه لهذا عاده غسل العار لدى قطاعات غير قليله من هذاالمجتمع، والتى تعنى الحكم بالاعدام على المراه التى تشتط فى سلوكهاالجنسى، ومن البديهى ان هذا الحكم لا يطال الرجل لان سلوكه لايعد –بشكل عام – عارا فيحتاج الى الغسل.

ولابد ان نشير هنا الى عامل آخر لحساسيه هذا المجتمع تجاه السلوك الجنسى للمراه وضعف هذه الحساسيه بالنسبه للرجل، وهو النظر للمراه كوعا لانجاب الولد وحرص المجتمع على طهاره هذا الوعاوبقائه بعيدا عن الشبهات لكى لا يدخل على الاسره من ليس منها. وبالرغم من الجانب الايجابى الذى تنطوى عليه هذه النظره والمتمثل فى الحفاظ على طهاره المولد لابنا المجتمع فانه ينقصها جانب آخر ومهم تكتمل به صوره العفه فى المجتمع وهو الاكتراث بما يقوم به الرجل من تلويث لاعراض الاخرين. والحقيقه ان مثل هذا التفاوت يعود فى النتيجه الى مااشرنا اليه من اعتماد هذا المجتمع لقاعده (المغالبه) كاساس للعلاقه بالاخرين وتكييف مفهوم الحق مع هذه القاعده لكى يتحول من معناه المطلق والمجرد الى ما يعادل سلوك القوى فيصبح الحق هو ما يريده القوى ويقوم به، لا ما يملكه الانسان بالاصاله بصرف النظر عن قوته وضعفه.

هذه هى الحاله الاجتماعيه للبيئه التى شرع بين ظهرانيها تشريع نكاح المتعه، وشهدت ساحتها تجميد هذا التشريع والغاه. فمن الواضح ان مثل هذا الالغا لا يعد نتيجه مستبعده فى ظل المفهوم الاجتماعى الذى اشرناااليه عن السلوك الجنسى ورسوخ هذا المفهوم فى عمق التكوين النفسى لانسان الجزيره العربيه.

اخرج الكافى باسناده عن زراره قال: جا عبدالله بن عمر الليثى الى ابى جعفر7، فقال له: ما تقول فى متعه النسا؟ فقال: احلها الله فى كتابه وعلى لسان نبيه فهى حلال الى يوم القيامه، فقال:يا ابا جعفر مثلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقول هذا وقدحرمها عمر ونهى عنها؟! فقال:وان كان فعل؟! فقال: انى اعيذك بالله من ذلك ان تحل شيئا حرمه عمر! قال: فقال له: فانت على قول صاحبك، وانا على قول رسول الله(ص) فهلم الاعنك ان القول ما قال رسول الله(ص) وان الباطل ما قال صاحبك. فاقبل عبدالله بن عمير فقال: ايسرك ان نساك وبناتك واخواتك وبنات عمك يفعلن؟ فالمعترض – بحسب هذا النص – لا يهمه ان يكون زواج المتعه احله اللّهورسوله، بل يهمه فى هذا الامر شيئان: الاول: الا تكون نسا الرجل وبناته يتمتعن. وهذا تعبير صريح عما اثقل به هذا النكاح من ايحاات ممنوعه وما يستدعيه من معان راقمه فى ذاكره التاريخ النفسى للمجتمع. وماعجب استدلال هذا المعترض! فكان اللاتى رخص رسول الله فى التمتع بهن لم يكن بنات رجال ولا اخوات آخرين! الثانى: نهى عمر عن هذا الزواج. ورغم دعوه الامام(ع) للمعترض الى الملاعنه على ان الحق مع رسول الله لا مع عمر، فان هذا المعترض لايبدوانه كان يعدل بسنه عمر شيئا.

وسنتعرض فيما يلى من البحث لدلالات هذاالموقف ودوافعه.

ولقد اقتضت حكمه المشرع سبحانه ان يكون هذا التشريع على نحوتراعى فيه حساسيه الناس تجاه هذا الموضوع، بحيث يتلقى المومنون هذاالنوع من الزواج بالقبول وينظرون اليه باعتباره ضروره تذوب معهاالحساسيات وتزول عن طريقها الموانع.

فالظرف الذى شهد نزول هذاالتشريع جعل الناس ينظرون اليه لا على انه حكم شرعى يجب طاعته والعمل به فحسب، بل على انه استجابه لحاجه فطريه ملحه كانوا يحسون بها، الامر الذى يعطى هذا التشريع صفه الدوام والبقا مااستجدت تلك الظروف وبقيت هذه الحاجات فى تكوين الانسان وبدنه.

اخرج البخارى عن قيس قال: قال عبدالله: كنا نغزو مع رسول الله وليس لناشىء فقلنا: الا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المراه بالثوب ثم قرا علينا (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)((204)).

فهذا النص يبين ان ضغط الغريزه الجنسيه وصل الى حد جعل الصحابه يفكرون فى الاستخصا واماته هذه الغريزه كليا لديهم لئلا يشغلهم التفكيربهذه الحاجه عن واجب الجهاد فى سبيل الله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثانى: العامل المذهبى (الطائفى):

تقدمت منا الاشاره خلال البحث ولمرات عديده الى ما اعتاد عليه المحدثون ومن اسميناهم بصناع التاريخ الرسميين من النظر الى سنه الخلفا وبشكل خاص سنه الخليفه عمر بن الخطاب على انها تمثل حكم الاسلام القاطع فى جميع الامور التى عالجتها هذه السنه. بل راينا فى نظره هولا لهذه السنه اكثر من مجرد عدها رايا يمثل الاسلام وانما اعتبرهاهولا – عمليا – على انها وحدها الممثل ولموقف الاسلام من القضاياالمعالجه، وما عداها من الارا والمواقف والتشريعات ينبغى اهماله وتنحيته جانبا، حتى ان كان هذا الراى او القول او التشريع صادرا عن رسول الله(ص) نفسه! ولا نريد بهذا القول التحامل على الاخرين او اتهامهم بما ليس فيهم، فليس من طريقتنا ولا من منهجنا فى هذا البحث ان نتجنى على الاخرين اونتسقط الهفوات منهم، فنحن لا نشك انك لو سالت اى شخص من اتباع مدرسه الخلفا سولا مجردا:ايهما اولى بالاتباع، قول رسول الله ام قول عمر؟ لاجابك بكل الايمان والصدق ودونما تردد: قول رسول الله اولى بالاتباع من قول عمر. غير ان هذا الجواب يبقى نظريا الى حد كبير لانه يعبر فقط عن ايمان المجيب بما يجب عليه الايمان به كواحده من ضروريات الدين، ولا يعنى – بالضروره – انه سيترجم هذا الايمان الى عمل فى حياته وسلوكه. وليس هذا بالامر المستغرب او البعيد حصوله بل انه الحال الاكثر وقوعا بين الناس، فما اكثر المومنين بالله ونبوه محمد(ص)واليوم الاخر ولكنك تجد فرقا كبيرا بين هذا الايمان وبين بضاعه المومنين فى سوق العمل .

ومع هذا التشابه الظاهرى بين الحالين فان هناك فرقا جوهريا بينهما، وهوان من ترى فرقا بين ايمانه وبين سلوكه العام كثيرا ما يفطن الى تقصيره وتخلفه فى ميدان العمل مع احساسه بصدق ايمانه ، ولعل هذا التفاوت بين الايمان والعمل ناشىء فى اغلب الاحوال عن ضعف الاراده وعدم القدره على الوفا بالتزامات الايمان. واما الاخذون بسنه عمر او غيره من الخلفابديلا عن سنه رسول الله فانهم لا يفطنون الى مثل هذا التقصير، لان هذاالاستبدال لسنه الرسول لا يتخذ – فى اكثر الاحيان ولمعظم الافراد – شكلا واعيا حتى يكون فى مواجهه الحس الدينى للفردفيكون ذلك سببا لرفض الاستبدال وعدم الاقدام عليه، بل انه على العكس من ذلك، فهو يتخذ صوره التعبد والتدين والتقرب الى الله. وقد يبدو هذاالكلام فى ظاهره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

متناقضا، اذ كيف يكون رفض سنه رسول الله – الذى يساوى عدم التدين – مظهرا من مظاهر التدين والتقرب؟ ان مسائل العقيده والفكر لايدخل فى تكوينها وصياغه شكلها النهائى العقل وحده، بل تشترك معه فى هذه الصياغه مشاعر الانسان وعواطفه.وهذا الاشتراك يكون على درجه من التفاعل والتشابك بحيث يصعب فى كثير من الاحيان التفكيك بينهما او تشخيص ما اذا كان هذا مصدره العقل وذاك مصدره العاطفه او القلب. فالعاطفه كثيرا ما تتماهى فى ثوب العقل وتخدع صاحبها – تخدعه قبل غيره – بان عقيدته اثر من آثار العقل وليست مظهرا من مظاهر العاطفه او صوره من صور الميل. ولا شك ان سلطان الحب وطغيانه على العقول هو الذى يجمد العقل عن النشاط ويكفه عن المعارضه، بحيث يصح بشكل عام ان يقال: ان الانسان – فى كثير من الاحيان – يحب الفكره او العقيده فيقتنع بها – اى ان القناعه تكون نتيجه للحب وليس العكس، وهذا يستلزم ان يرفض الانسان – فى كثير من الاحيان – مالايحب فيقتدح الحيل والسبل لتبرير عدم الاقتناع تبريرا(عقليا) وتصوير ان الدليل وحده دون العاطفه هو الذى قاده لهذا الرفض!ولهذا الامر بالذات نلاحظ شيوع ظاهره التعصب الدينى والطائفى، حيث تاخذ العاطفه شكل القناعه الراسخه بصواب العقيده المتبناه، وتضفى نوعامن البداهه والقانونيه على هذه الصوابيه بحيث يتحول الاخر الى شرير يرى الحق بعينه فيزيغ عنه ويرى الباطل مجسما فيقدم عليه.

وطبيعى ان حاله الخداع هذه واحتيال اللاوعى على الوعى ليست حاله خاصه بامور العقيده وشوون الفكر بل هى حاله شامله يواجهها الانسان –او بتعبير ادق تواجهه – فى كل شان من شوونه الشخصيه او العامه، ويمكن اعتبارها نوعا من التدبير (البرجماتى) الذى تلجا اليه القوى النفسيه لدى الفرد للدفاع عن الذات والمحافظه على سلامتها.

غير ان هذه الحاله تعبر عن نفسها بشكل اوضح واقوى فى امور الدين والعقيده عموما، وذلك لتوفر عنصرين اثنين يغذيان هذه الحاله ويعززانهافى شخصيه الفرد:

الاول: عنصر القداسه والاحترام الذى يضفيه المتدين او المعتقد على عقيدته. والقداسه – بحد ذاتها((205)) – تعبير عن حاله عاطفيه محضه يعيشهاالمعتقد تجاه الموضوع المقدس.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثانى: التلقين المستمر الذى يتلقاه المعتقد للفكره وتقديسها معا. ولاينحصر هذا التلقين بالطريقه المباشره والمقصوده، بل انه يحصل،بشكل متواز مع الشكل المباشر، بطريقه غير واعيه، من خلال ما يمتصه الفرد من بيئته والمحيطين به من عناصر الايمان بالفكره ومظاهر تقديسها.

ولا حاجه بنا الى التاكيد هنا على ان هذه الحاله تصيب المومنين على اختلاف عقائدهم وتباين مستوياتهم العقليه، وتجرى بمعزل عن صواب الفكره المعتقد بها او بطلانها، فهى حاله تعبر عن القانون الداخلى للنفس البشريه فى تعاملها مع العقائد والافكار وتكشف الطرق الخاصه التى تتبعهاهذه النفس فى هذا المجال، والتى قد تلتقى فى نهايه المطاف مع الواقع فتصيبه او تنحرف عنه فتخطئه.

ولا نرمى بهذا الكلام الى افتراض نوع من الجبريه فى سلوك الانسان اوالى تضييق مجال الحريه الحقيقيه، ومن ثم تجريد الانسان عن المسووليه تجاه خياراته واعماله فى الحياه، لا، فالاراده الواعيه لدى الانسان والتى تتمتع بقدرات لا نهائيه على تحرير العقل لو اعطيت فرصتها للفعل والتحقق، هذه الاراده هى التى تملك القدره على الحسم، وهى التى تضفى روحا انسانيا مليئا بمعانى الحريه والمسووليه على صراعها المرير مع رغبات النفس واهوائها وحيلها الخفيه والعلنيه. ولهذا الكلام تتمه فى حديث ياتى ان شا الله.

ولنعد الان بملاحظاتنا هذه الى مواقف وآرا نستهديها الدليل وناخذ منهاالشاهد على ما ذكرنا لكى يسهل علينا بعدها تصور دور هذا العامل واثره فى رفض نكاح المتعه :

لقد اجمعت معظم المصادر الحديثيه المعتبره لدى اهل السنه على ان الطلاق كان على عهد رسول الله وابى بكر وسنتين من خلافه عمر طلاق الثلاث واحده، غير ان عمر جعل طلاق الثلاث ثلاثا، وقال: ان الناس قداستعجلوا فى امر كانت لهم فيه اناه فلو امضيناه عليهم، فامضاه عليهم((206)).

والسوال الذى نوجهه هنا: كم من اهل السنه لديهم الاستعداد والقدره على العمل وفق ما ورد فى هذه المصادر الموثقه لديهم بحيث يستحلون الرجوع لزوجاتهم المطلقات ثلاثا فى مجلس واحد دون الرجوع الى محلل؟ لا شك ان الذين لديهم مثل هذا الاستعداد قله قليله وعدد ضئيل، لا لرغبه من الاكثريه فى مخالفه سنه رسول الله، بل لما قدمناه من تحول سنه عمربسبب القداسه والتلقين المستمر الى بديل عن سنه رسول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله، بحيث لايجرو المسلم السنى على مخالفه هذه السنه بالرجوع الى زوجته المطلقه دون محلل ظنا منه انه بهذا الرجوع يرتكب عملا محرما، فهو يعانى هنانفس المشاعر التى يعانيها المتدين عاده تجاه العمل المحرم، من الاحساس بالنفور من هذا العمل، والاحساس بالذنب لدى الاقدام عليه،والشعور بالخوف من الله.

هذا هو جانب من صوره الخلفيه السيكولوجيه فى تعامل الرافضين مع هذاالنوع من الزواج، ويكتمل جانبها الاخر بما قدمناه من الكلام على العامل الاجتماعى. وللمتمعن ان يحدد، ضمن هذه الشروط، فرص الاخذ بهذه السنه والعمل بها من قبل اتباعها! ولكى نلقى مزيدا من الضوء على مسووليه العامل المذهبى عن الموقف المتشنج ازا زواج المتعه نشير الى مساله تداولتها مصادر اهل السنه الفقهيه ونسبوا الافتا بها الى ابى حنيفه، وهى جواز استئجار المراه للنكاح، فللرجل ان يواقع المراه التى يتفق معها، لقا اجر معين.

واستند المجوزون لذلك على ما رووه من ان امراه جات الى عمر بن الخطاب فقالت: يا امير المومنين اقبلت اسوق غنما لى فلقينى رجل فحفن لى حفنه من تمر، ثم حفن لى حفنه من تمر. ثم حفن لى حفنه من تمر ثم اصابنى.

فقال عمر: ما قلت؟ فاعادت، فقال عمر بن الخطاب – ويشير بيده –: مهرمهر مهر، ثم تركها.

قال ابن حزم: قد ذهب الى هذا ابوحنيفه، ولم يرالزنا الا ما كان مطارفه، واما ما كان فيه عطا واستئجارفليس زنا ولاحد فيه((207)). فهذا النص صريح غايه الصراحه فى تجويز نوع من العلاقه بين الرجل والمراه لم ينظر اليها كثير من فقها اهل السنه – وبعضهم من تلامذه ابى حنيفه نفسه((208)) – سوى انها نوع من الزنا يوجب الحد لمرتكبه.

ورغم الخلاف على ابى حنيفه من جانب هولا الفقها، ومع اننا لم نسمع او نقرا – فى حدود اطلاعنا – ان هناك من عمل بفتوى ابى حنيفه هذه، الااننا لم نسمع ايضا ولم نقرا ان الخلاف فى هذه المساله تجاوز حدودالخلافات الفقهيه والعلميه بين العلما، او تخطاها الى تفسيق ابى حنيفه واتهامه باباحه الفجور. نعم قد يوجد من تناول هذه المساله على هذا النحومن اهل السنه قديما، ولعلك تجد رائحه هذه القسوه فى كلام ابن حزم نفسه، ولكن هولا انما فعلوا ذلك لدوافع مذهبيه ونكايه بابى حنيفه ومذهبه، اذ ان هذه القسوه عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

انحسرت بارتفاع الخلافات المذهبيه الحاده بين مختلف مذاهب اهل السنه والتى اتخذت فى كثير من مقاطع التاريخ طابعا دمويا حادا، فلا تجد اليوم من اهل السنه من يشنع على ابى حنيفه او يتهمه باباحه الفجور، او يعتبر فتواه هذه سببا مانعا من اتباع مذهبه والعمل وفق فتاواه ورايه، وهذا بخلاف ما صدر عن المنتقدين للزواج الموقت قديما وحديثا من غمز وتجريح واتهام للقائلين به.

مع انه لا وجه للمقارنه بين هذا الزواج وبين الاستئجار الذى افتى به ابوحنيفه، فزواج المتعه نكاح تتوفر فيه كل شروط الزواج المعتبره شرعا، من صيغه الايجاب والقبول والعده للمتمتع بها فضلا عن وجوب المهر لها. واما الاستئجار فليس فيه سوى ان الرجل يستاجر من المراه مافيه منفعه الاستمتاع لقا مال معين. وهذا المال كاف فى نظر ابى حنيفه لسلب عنوان الزنا عن هذه العلاقه، فما دام يقدم بصفته اجرا فقد خرج بالامر عن عنوان المطارفه.

ولكن هذا الفرق لم يجده غيره من فقها اهل السنه كافيا لاباحه هذا النوع من العلاقه وسلب عنوان الزنا عنها. قال ابن حزم فى نصه المنقول آنفا:وقال ابو يوسف ومحمد وابو ثور واصحابنا وسائر الناس: هو زنا كله((209)) وفيه الحد.

ولا يهمنا فى هذا البحث ان كان ابو حنيفه اصاب فى رايه هذا ام اخطا،انما يهمنا الاشاره الى دور العامل المذهبى وطغيان تاثيره على الطريقه التى ينظر بها الناس لهذه القضايا. فهذا العامل هو الذى دفع العلماوالمفكرين وذوى الفضل الى تحمل راى ابى حنيفه هذا والتغاضى عمافيه من عوار، والنظر اليه على انه راى شاذ فقط لا يمنع من اتباع مذهب قائله، بل لا يمنع صاحب هذا الراى ان يكون مذهبه من اكبر المذاهب الفقهيه السنيه ان لم يكن اكبرها على الاطلاق.

وهذا العامل ايضا هو الذى دفع هولا انفسهم الى النظر الى زواج المتعه على انه سواه يجب القا الستار عليها، وانه طعن فى شريعه محمد(ص) لا يمكن الصفح عنه او السكوت عليه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مع انه لا خلاف بين المسلمين جميعا على تشريع هذا الزواج فى فتره مامن حياه رسول الله(ص) ولكن الخلاف بينهم فى نسخه وعدمه.. فلماذاالمفارقه فى النظر اذا؟ انها القوه النفسيه الهائله التى اشرنا اليها والتى سخرت اقوى العقول للدفاع عن قضايا لو خليت والعقل وحده لاظهر بطلانها وخسران صفقتها.

«**3**» **المتعه كحل مشروع لازمه الجنس** التى افرزتها ظروف الحياه العصريه وتعقيداتها الاجتماعيه تحدثنا فيما تقدم عن نظره الاسلام للدوافع الغريزيه وذكرنا ان معالجه الاسلام لهذه الدوافع تتصف بالواقعيه والاعتراف بحق هذه الحاجات فى الاشباع والتحقق، وتطرقنا ايضا الى الحديث عن سبب الواقعيه فى النظره الى هذه المسائل، وقلنا ان السبب فى هذا يكمن فى اعتبار هذه الدوافع امورا حياديه لا توصف – بذاتها – بخير او شر بل الذى يوصف بانه خير اوشر هو طريقه التصرف بهذه الدوافع وكيفيه اشباعها.

وعلى هذا يمكننا ان نفترض عناصر موقف الاسلام من هذه القضيه على النحو التالى:ان هذه الدوافع فطريه، ولانها كذلك فهى تحتاج الى اشباع.

وكونها فطريه وموجوده فى اصل تكوين الخلقه يعنى انها محايده، ولانها كذلك فهى تحتاج فى اشباعها الى العنصر الاخلاقى الذى يبقى هذا السلوك خارج دائره الحيوانيه الهابطه وينقله الى رحاب الانسانيه وآفاق تكاملها.

ان هذا الفهم المجرد هو الذى ينبغى ان يرجع اليه فى الحكم على الزواج الموقت – وكل مظاهر السلوك الجنسى – وتقدير ما اذا كان هذاالنوع من الزواج خارجا عن المقاييس التى وضعها الاسلام فى هذه الامورام لا. وواضح ان غرضنا من التجريد هو لضمان الابتعاد براى الاسلام وموقفه فى هذه القضيه من تاثير العوامل الاجتماعيه والنفسيه التى اشرناااليها لئلا يتحول الراى الذى ننسبه للاسلام الى تعبير عن رغباتنا وصوره عن اسقاطتنا وتداعياتنا النفسيه.

نعلم ان البعض قد ينظر الى هذا الكلام على انه اقرب الى لغه الوعظ منه الى المعالجه العلميه الجاده لهذا الموضوع الحساس، وقد يبدو ايضا انه على شيء من التعارض مع كلامنا السابق عن تاثير العاملين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاجتماعى والمذهبى وطغيان تاثيرهما شعوريا ولا شعوريا على مواقف المرءوافكاره. وحقا ان تجسيد الكلام بعد تجريده ليس بالامر السهل، والا فاين هو الذى يتهم نفسه بانه يشوه راى الاسلام على هذه الطريقه، طريقه الانسياق مع الميراث الاجتماعى والخبرات النفسيه شعوريه كانت او لاشعوريه؟ ولكننا نعتقد ان هذا هو المطلوب على كل حال! لقد المحنا لدى الحديث عن العامل الطائفى الى انه بالرغم من قوه هذاالعامل وتاثيره فى سلوك الفرد، فان خضوع الانسان لهذه القوه ليس قضامبرما او قدرا محتوما بحيث لا يمكنه تجاوزه او الافلات منه. فمهما يكن عنفوان القوه الى اشرنا اليها وطغيان تاثيرها فان الاراده الانسانيه، هذه الشراره الالهيه المودعه فى قلب الانسان، قادره على فعل الاعاجيب واجتراح المعجزات، فهى ليست قادره على الارتفاع على المشاعر التى تحول دون ملامسه الحقيقه فحسب، بل هى قادره على تطويع هذه المشاعر واعاده تشكيلها لتكون اطارا يحتضن هذه الحقيقه. ان ما تحتاجه الحقيقه لكى تعبر عن نفسها دونما كوابح او موانع ليس عقلا خارقا فى قدراته، بل عقلا حرا وسيدا بهذه الاراده.

ان التغير الذى طرا على شكل الحياه الاجتماعه نتيجه للتعقيد الناشىء عن استخدام وسائل الحضاره واساليبها طرح مشاكل جديده فى معظم جوانب الحياه واثار اسئله لم تكن لتثار او تطرح فى نمط الحياه المستقر الذى كان يعيشه اسلافنا.

فظروف الحياه العصريه المعقده اجلت امكانيه الزواج الى سن متاخره نسبيا، فالشاب الذى يروم الزواج عليه ان يقطع عده سنوات فى الدراسه والتاهل للعمل حتى يكون مستعدا لتكوين عائله ومواجهه متطلباتها. وفى هذه الحاله تطول الفتره الزمنيه الفاصله بين سن البلوغ الجنسى والسن التى يكون عندها الشاب مستعدا للزواج. وهذا بخلاف ماكان عليه الوضع فى السابق. فان طبيعه الحياه يومذاك لم تكن لتحتاج هذه المده الطويله لكى يكون للشاب مثل هذا الاستعداد للزواج، فالشاب الذى كان يرث – فى الغالب – مهنه ابيه فى الرعى او الزراعه او التجاره اوالحرف اليدويه يكون جاهزا للزواج – من جميع النواحى – لدى بلوغه سن النضج الجنسى، اذ ان متطلبات الحياه يومذاك لم تكن تفرض على الشاب المتقدم للزواج اكثر مما بين يديه من الامكانيات، فضلا عن ان القيم الاجتماعيه السائده، والمستنده الى راى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشريعه، تفرض على الشاب مثل هذا التعجيل فى الزواج. وهو تعجيل حل بشكل عام المشكله الجنسيه لدى الرجل والمراه وحماهما الى حد كبير من الانزلاق على هذاالطريق.

ان طول الفتره الفاصله بين سن البلوغ وسن الزواج فى هذا العصر والتى قدتتجاوز فى كثير من الحالات العشر سنوات يطرح مشكله الغريزه الجنسيه على بساط البحث ويحتم على قاده المجتمع ورموزه ايجاد الحلول العمليه التى تضمن تصريف هذه الطاقه فى اطار الضوابط التى حددتها الشريعه وبعيدا عن مهاوى الانحراف والجريمه. فهذه الفتره تمثل اكثر سنوات الخصوبه الجنسيه حده، وتصل فيها الغريزه الى قمه اندفاعها وذروه ضغوطها على الانسان.

ولا شك ان اهمال هذه الحاله ومحاوله التغاضى عنها لا يودى الى حل لهذه المشكله. كما ان هذه القضيه لا تحل دائما بالمواعظ وتوجيه النصائح، فان ضغط الغريزه قد يصل فى كثير من الاحيان الى درجه يشل معها اراده الانسان وقدرته على التصرف السليم، وتتكسر امامه سدود القيم وموانع الاخلاق.

وازا هذه الحاله يكون من المتعين التعامل مع الزواج الموقت على نحوياخذ بنظر الاعتبار هذه الحقائق ويتجاوز ما اشرنا اليه خلال البحث من الحواجز النفسيه والمواقف المسبقه.

ولا نعنى من هذا بطبيعه الحال ان الزواج الموقت يكتسب شرعيته من مجرد الحاجه اليه. فان الحاجه وحدها لا تسبغ صفه الزواج على هذاالنوع من العلاقه. ولكننا نعنى ان هذه الظروف المستجده تستعيد فى الذهن ظروف تشريع هذا الزواج، وان التشابه بين الظرفين، ظرف التشريع وظرف الحاجه الراهن يقودنا الى افتراض بقا مسوغات التشريع ومقوماته ومن ثم استمراره وعدم نسخه((210)).

فلو عدنا الى ظرف تشريع هذا الزواج لوجدنا ان الحاجه الملحه هى السبب فى هذا التشريع. فمن خلال حديث البخارى السابق عن عبدالله بن مسعود: كنا نغزو مع رسول الله وليس لنا شيء.

فقلنا: الا نستخصى؟ فنهاناعن ذلك ورخص لنا.. يتبين لنا ان ضغط الغريزه الجنسيه والحاحها والذى دفع الصحابه الى التفكير فى الاستخصا كان هو السبب فى الترخيص.وبديهى ان الحاجه الملحه ليست

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حكرا على الصحابه وحدهم، كما ان الاحساس بها ليس مختصا بزمان دون آخر، بل هى قضيه غريزيه نابعه من تكوين الانسان الفطرى ويمكن تجددها والاحساس بها فى كل زمان ومكان اذا توفرت شرائطها.

بل يمكننا الافتراض هنا ان الاحساس بالحاح هذه الحاجه فى الوقت الحاضر هو اكثر بكثير مما كانت عليه زمن الصحابه. فاذا كان احساس الصحابه بهذه الحاجه لبضعه اسابيع او عده شهور، وهى الفتره التى تستغرقها اطول حرب او غزوه غزاها المسلمون مع رسول الله، اذاكانت سببا للترخيص فى النكاح الموقت، فان طول الفتره التى يقضيهاالشاب بين بلوغه سن النضج الجنسى وبين بلوغه معدل السن التى يكون مستعدا عندها للزواج، وهى فى الغالب لا تقل عن سن الخامسه والعشرين، ان طول الفتره هذه ادعى للافاده من هذا التشريع فى اشباع الحاجه الى الشريك الجنسى وكسر حده الغريزه.

ولو رجعنا مره اخرى الى الحديث الذى ساقه البخارى عن تشريع المتعه لوجدنا فيه، اضافه الى الاشاره الى احساس الصحابه بضغط الغريزه الجنسيه والذى كان سببا مباشرا فى الترخيص، وجدنا فيه ان رسول الله(ص) يتلو على الصحابه فى مقام الترخيص قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)((211)) ولا شك ان وصف الرسول لنكاح المتعه – او وصفه للنساحال الترخيص بهذا النكاح – بانه من الطيبات يعطى هذا القسم من النكاح صفه التشريع الثابت ويبعد عنه صفه التشريع الاضطرارى كما حاول البعض وصفه بها فى مقام الدفاع عن موقف الخليفه فى نهيه عن المتعه،فان الطيبات – بما هى – لا تتوقف اباحتها على زمان بعينه او مكان دون آخر((212)).

ان استشهاد الرسول(ص) بهذه الايه الكريمه فى مقام الترخيص بالمتعه يشجعنا على الاشاره مره اخرى الى ما قدمناه من الحديث عن مفهوم الاسلام وموقفه من الدافع الجنسى والى تاثير العوامل الاجتماعيه والمذهبيه فى الموقف السلبى من هذا التشريع، ويجعلنا نفترض ان وصفه(ص) للمتعه بانها من الطيبات ومن مصاديق عدم الاعتدا قد وفرالرصيد الاخلاقى لهذا الفعل المحايد اصلا. واخرجه من دائره الخبائث الى عداد الطيبات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويمكننا بنا على ما تقدم ان ندرك اهميه هذا التشريع فى معالجه قضيه تشكل عبئا كبيرا على جيل الشباب الملتزم وتمثل تحديا موذيا للمجتمع وقيمه الدينيه والاخلاقيه. فى وقت تتوفر كل وسائل الاغرا بالانحراف وتتهيا فيه ارضيه الفساد والافساد بشكل لم يعرف له تاريخنا فى مراحله مثيلا.

فالاختلاط بين الجنسين وصل الى اقصى مدياته فى كل زاويه من زوايا المجتمع ونواحيه، فى الشارع والمدرسه والسوق والدائره والمتنزه ووسائط النقل... الخ. ومظاهر الخلاعه والتبرج شاعت بين اناث هذاالعصر الى الحد الذى صارت تستثير معه كل مكامن الشهوه والغريزه لدى الشباب المستفز.

وقد ساعد فى اشاعه ما ذكرنا ومخاطره وسائل الحضاره المرئيه والمسموعه والمقروءه، بحيث تحول الجنس من خلال هذه الوسائل الى سلعه من اكثر السلع رواجا – وربحا كذلك –.

هذه هى البيئه التى يعيش فيها شباب هذا العصر، بيئه معباه بابخره الجنس وايحااته القريبه والبعيده. وذلك هو ظرفهم، عوز فى المال والجاه يمنع الشاب من الزواج، ولا يتهيا له سده قبل اكمال الدراسه والتاهل فى ميدان العمل. فهل ما زلنا نصر على الانرى، ونحن نشاهد بام اعيننا صلابه شبابنا – بل رجولتهم – وهى تنماث فى هذا الجو الكاسر انمياث الملح فى الما؟ الجميع يرون. كل المخلصين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يرون.

والجميع يطلقون صيحات الفزع من هذا الخطر الذى يتهدد مستقبل اجيالناوجذور قيمنا، لا شك فى هذا. ولكن ما يحتاج الجميع الى رويته هو الحل الذى يخفف من وطاه هذا الواقع ومخاطره ان لم يزلها. فهل ما زلنا نعدعلاقه تقوم على العقد والمهر والعده وتعترف بما يترتب على هذا من الولد والنسب فجورا؟ وهل يصح لحر فى تفكيره ان يعتقد هذا وصدى ندا ابى حفص (متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا احرمهما واعاقب عليهما) يتردد فى الاذان، وهل لحر فى تفكيره حقا ان يرى هذا وندا سيدالشريعه (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدواان الله لا يحب المعتدين) مل ء القلب.

او لم يئن الاوان بعد لان نشاطر عبدالله بن عباس شعوره بالاسى وهو يردد:ما كانت المتعه الا رحمه رحم الله بها امه محمد ولولا نهيه (اى عمر) ما زناالا شفا((213)).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«4» نهى عمر عن المتعه ودوافع هذا النهى

مربنا الاشاره الى ظروف تشريع زواج المتعه وبواعثه، واستخلصنا من خلال تسليطنا الضوء على الحديث الذى يرويه البخارى فى هذاالخصوص ان عامل الحاجه الملحه الذى كان سببا مباشرا لتشريع هذاالنوع من الزواج فضلا عن وصف رسول الله(ص) له بانه من الطيبات التى احلها الله ومن مصاديق عدم الاعتدا يحملنا على الاعتقاد بان هذا التشريع لم يات لمعالجه مشكله وقتيه مرتبطه بزمان او مكان معين، بل انه اكتسب بهذين العنصرين – اشباع الحاجه الملحه وكونه من الطيبات ومن مصاديق عدم الاعتدا – ضفه الدوام والبقا.

وقد جا نهى الخليفه عمر((214)) ليوكد هذه الحقيقه، وهى ان هذا التشريع كان معمولا به زمن رسول الله(ص) وابى بكر بعده، غير ان الخليفه ارتاى النهى عن هذا النكاح كما ارتاى النهى عن امور اخرى كثيره لم يرد فيه كتاب ولا سنه، فقد اشتهر عنه قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا انهى عنهماواعاقب عليهما، متعه الحج ومتعه النسا. كما اشتملت كتب الصحاح وغيرها من كتب الحديث على روايات كثيره مسنده الى الصحابه، صرحوافيها بالعمل بنكاح المتعه زمن رسول الله وابى بكر وشطر من خلافه عمر.وقد اشتهر هذا النهى عن عمر حتى عد نفيه وادعا النسخ بالكتاب والسنه تعسفا واضحا لوقائع التاريخ وثوابت الكتاب والسنه.

ولسنا نرى من الضرورى – هنا – ان نستعرض جميع الروايات والاحاديث التى تشير الى هذا النهى وثبوت صدوره عن عمر، فان القارىء سيلتقى خلال الاتى من البحث مع عدد وافر من هذه الاحاديث والروايات، كما انه سيطلع على رد مفصل على دعوى نسخ المتعه بالكتاب والسنه.

سنحاول التركيز هنا على مساله النهى عن المتعه وظروف هذا النهى ودوافعه وفقا للمنهج الذى اعتمدناه فى تتبع مفردات هذا البحث منذبدايته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولعل القارىء الكريم احاط من خلال تتبعه لما تقدم بملامح هذا المنهج الذى يقوم اساسا على تناول الشخصيات التاريخيه بعيدا عن الصوره(المثال) التى يرسمها التاريخ عاده لابطاله وصانعيه، ويعتمد مقاربه هذه الشخصيات بتجريدهم عن هاله القداسه وتهاويل العظمه التى اكتسبوهاحقا صرفا ببعدهم الزمانى عن عصرنا ولعوامل اخرى اشرنا لبعضها، وينظرلهذه الشخصيات كمخلوقات آدميه تعانى ما يعانيه الانسان العادى من مشاعر الحب والكره، والوفا والعقوق، والايثاروالانانيه، والشجاعه والجبن... الخ. وتخضع لما يخضع له الانسان –العادى وغيره – من موثرات الزمان والمكان والبيئه الاجتماعيه وعوامل الوراثه فى صياغه الشخصيه وتحديد مواقفها وردود افعالها.

ان تناول الشخصيات التاريخيه بوصفهم ابطالا اسطوريين لا ترقى لساحه قدسهم الشبهات يجعل من العسير على الباحث استنطاق وقائع التاريخ واحداثه والوصول الى نتائج محدده ينتفع بها حاضرنا ومستقبلنا، اضافه لما فى هذا المنهج المغالى من الاساه لتاريخنا وديننا، فليس كل الابطال بقادرين على تجاوز ظروفهم واوضاعهم الشخصيه ومقتضيات زمانهم..ان مثل هذا التخطى لظروف الواقع والاستعلا على معطياته غير ممكن لبشر الا لمن اختاره الله وثبتت عصمته بالدليل.

لقد عودنا القارىء الكريم على دراسه المواقف الاجتهاديه للخليفه عمربتسليط الضوء على خلفيه هذه المواقف ومحاوله البحث عن جذورها فى تربه الواقع الاجتماعى والظروف الشخصيه التى عاشها الخليفه. وسنسعى لان نقوم بنفس المحاوله فى دراستنا لدوافع الخليفه للنهى عن المتعه وخلفيه هذا النهى.

تحدثنا لدى الكلام على الموقف السلبى من المتعه عن دور العامل الاجتماعى وتاثيره فى تكوين هذا الموقف وقلنا هناك ان القيم الاجتماعيه السائده فى المجتمع العربى لم تكن لتستسيغ اى علاقه للمراه بالرجل خارج اطار العلاقه التى يعترف بها المجتمع وهى علاقه الزواج الدائم.واحسب ان بامكاننا الزعم هنا ان هذه النظره نفسها – وهى امتداد لوضع اجتماعى وتاريخى سابق – حدت من ممارسه هذا التشريع وحصرت تطبيقه وفعله من قبل الصحابه فى اضيق نطاق ممكن، بحيث لم يتحول هذا الزواج الى علاقه رسميه معترف بها من قبل المجتمع ولم يستطع ان يكسر – بشكل كامل – كل الحواجز التى اقامتها ازمان متعاقبه فى النفوس.ويشجعنا على الاطمئنان لهذا الاستنتاج ان كثيرا من الروايات الوارده – ان لم يكن اكثرها – فى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النهى عن المتعه كانت تتحدث عن استمتاع الصحابه بنسا مولدات مما يشير الى ان الحرائر منهن – بشكل عام – كن يناين بانفسهن عن هذه العلاقه اما لعدم رضاهن بها او بسبب التقاليد الاجتماعيه الضاغطه التى تحول دون الاقدام عليها.

عن عروه بن الزبير ان خوله بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب وقالت: ان ربيعه بن اميه استمتع بامراه مولده حملت منه، فخرج عمر يجر رداه((215)).

وفى الاصابه: ان سلمه بن اميه الجمحى استمتع من سلمى مولاه حكيم بن اميه بن الاوقص الاسلمى فولدت له، فجحد ولدها، فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعه((216)).

غير ان القضيه الاشهر التى تذكرها كتب الحديث والتاريخ سببا لنهى عمرعن المتعه هى قضيه عمرو بن حريث:قدم عمرو بن حريث الكوفه فاستمتع بمولاه فاتى بها عمر وهى حبلى فساله فاعترف. قال: فذلك حين نهى عنها عمر((217)).

ولا يعنى هذا انه لم يقع استمتاع بغير المولدات من النسا، فان هذا الحكم شرع فى وقت كان كل المسلمين – تقريبا – عربا، وكان الصحابه قداستمتعوا زمن رسول الله وابى بكر. غير اننا اردنا – كما ذكرنا قريبا – الاشاره الى ان تشريع المتعه لم يقيض له الانتشار بشكل رسمى وواسع بسبب مشاعر الريبه والضيق التى كان ينظر بها الناس – وكلهم عرب يومذاك –لهذا النوع من العلاقه، بحيث لم يتخذ العمل بهذا التشريع شكلا واسعا الافى زمن عمر بن الخطاب. ويبدو ان السبب فى هذا الانتشار هو دخول امم اخرى فى الاسلام وانتقال عدد كبير من المسلمين الجدد الى المدينه والامصار الاسلاميه الاخرى بعد الفتوحات الاسلاميه التى حصلت ايام خلافه عمر.

وقد هيا هذا الاختلاط بين العرب وغيرهم الفرصه لرواج العمل بهذاالتشريع وانتشاره فى اوساط القادمين الجدد الذين اطلق عليهم اسم الموالى، والذين لم يكونوا يملكون حساسيه العرب تجاه هذا التشريع،وهو ما يفسر لناكثره حالات الاستمتاع بغير العربيات فى هذه الفتره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ورغم دخول هولا الموالى فى الاسلام وصيرورتهم جزءا من الامه المسلمه لهم ماللمسلمين وعليهم ما عليهم، الا ان شعورا داخليا كان ما يزال يخامر الكثير من المسلمين العرب فى تلك الفتره بانهم افضل من غيرهم، وان هولا الذين دخلوا الاسلام حديثا وان اطلق عليهم وصف المسلمين فعصمت بذلك دماوهم واعراضهم واموالهم الا انهم لا يمكن ان يساووا بالعرب من حيث المكانه الاجتماعيه وحق المشاركه فى النشاطات العامه. ومهما تكن درجه هذا الاحساس فى النفوس وتفاوته قوه وضعفا بحسب ايمان الافراد وعمق التزامهم الدينى، فان هناك احساساشبه عام فى تلك الفتره بعدم كفاه غير العربى للمصاهره. وفى المقابل فان الرجل العربى كان يطلب المراه العربيه التى يراها كفا للاستيلادوالانجاب، لشعوره بعدم صلاحيه غيرها فى هذا الخصوص. وقد يبدو هذاالشعور مفهوما بالنسبه لجماعه عرقيه عاشت معزوله – بشكل عام – فى صحرائها احقابا طويله، وكان راس مال ثقافتها التفاخر بالانساب واصاله العرق وتمجيد الفضائل التى تتحلى بها الوحده العرقيه التى ينتمى اليهاالفرد، قبيلته وذووه الاقربون.

وقد بقى هذا التقليد ثابتا حتى اواخر العصر الاموى تقريبا، ثم اخذ فى الانحسار بعد كثره اختلاط العرب بالموالى وتعاظم دور هولا فى الشوون العامه بدءا من العصر العباسى.

وبنا على ما تقدم واخذا بنظر الاعتبار ما اسلفناه من الحديث عن دورالعامل الاجتماعى فى اضعاف هذا التشريع وكذا ما قدمناه فى اول الكتاب عن قوه تاثير التقاليد العربيه الموروثه فى مواقف الخليفه وآرائه الاجتهاديه، بنا على هذا كله نستطيع ان نستخلص من روايات المنع عن المتعه عنصرين اساسيين:

الاول: ان المتعه اخذت فى زمن عمر بن الخطاب مدى اوسع فى الانتشاروالرواج عما كانت عليه زمن ابى بكر وحياه رسول الله(ص). وان السبب فى هذا الانتشار هو دخول العنصر غير العربى فى الاسلامى والذى لم يكن يحمل خلفيه العربى الاجتماعيه والنفسيه فى مواجهه هذا التشريع. غير انه يمكن القول ان هذا الانتشار كان من جانب واحد بسبب تاثير التقاليدالموروثه، وان كثيرا من الرجال الذين مارسوا هذا النوع من النكاح لم يكونوا مستعدين لمواجه آثاره وتحمل مسووليه نتائجه، لهذا نرى بعضهم يسارع الى التنصل من هذه المسووليه ويبادر الى انكار علاقته بالمراه المستمتع بها لئلا يضطر الى الاعتراف بولد لم يكن مستعدا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

للاعتراف به،او قبوله بوصفه ثمره لعلاقه موقته ومن امراه لم يكن يراها اهلا لان تكون اما لولده. وهذه الحوادث كانت من العوامل المباشره التى شجعت الخليفه ودفعته لاعلان قراره بالنهى عن المتعه.

الثانى: يلاحظ على الخليفه وصفه لهذه العلاقه بانها سفاح بقوله فى معرض النهى: بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح، كما يلاحظ عليه تهديده برجم فاعلها بقوله: فلا اوتى برجل نكح امراه الى اجل الا غيبته بالحجاره.

ولا نجد فى هذا سوى ان الخليفه لم يكن يرى شرعيه هذا النوع من الزواج وانه كان يرى فاعله زانيا مستحقا للرجم ان كان محصنا، وانه لم يكن يرى فى ممارسه هذا التشريع زمن رسول الله(ص) سببا كافيا للاستمرارفيه بل كان يرى لنفسه الحق فى المنع كما كان لرسول الله الحق فى الترخيص. وقد كان صريحا غايه الصراحه فى ذلك بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا انهى عنهما واعاقب عليهما: احداهما متعه النسا ولااقدر على رجل تزوج امراه الى اجل الا غيبته بالحجاره والاخرى متعه الحج((218)).

ورغم اعتذار الخليفه، كما فى نص الطبرى الاتى عن عمران بن سواده، ان رسول الله احلها فى زمان ضروره ثم رجع الناس الى السعه ثم لم اعلم احدا من المسلمين عمل بها ولا عاد اليها.

نقول رغم اعتذار الخليفه بهذاالقول فان ما قاله لا يقوم عذرا للنهى الصادر عنه ولا يعطيه حق التحريم لفعل اباحه الله على لسان رسوله، وذلك للاسباب التاليه.

1 – ان الضروره ليست مقدره بفتره زمنيه معينه وانما هى تعبير عن حاله غريزيه يمكن حصولها وتجددها فى كل وقت. بل ان هذه الضروره قدتحققت فى زمن الخليفه نفسه بشكل اوسع واكثر مما كانت عليه زمن رسول الله(ص).

ففى عهده اتسعت حركه الفتوحات وشقت طريقها فى كل اتجاه وصقع.وكان المجاهدون فى هذه الحركه الواسعه يقطعون الفيافى والبلدان ويغيبون الشهور الطوال بل السنين عن اهليهم وديارهم. وفى مثل هذه الظروف لا يستطيع احد الزعم ان هولا المجاهدين لم يكونوايشعرون بذات الحاجه التى الحت على الصحابه زمن الرسول وحدت ببعضهم الى التفكير فى الاستخصا والتى كانت السبب المباشر لتشريع هذا النكاح.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2 – ان عدم علم الخليفه بوقوع العمل بالمتعه بعد تصرم زمان الضروره والرجوع الى السعه – كما يقول – ليس دليلا على عدم الوقوع، فقد يكون العمل بها واقعا ولم يعلم به الخليفه، وحتى لو كان عدم علمه بوقوع النكاح دليلا على عدم وقوعه فانه لاينهض مبررا كافيا للمنع عنه مالم يرد نهى ممن له حق النهى وهو رسول الله(ص) يحرم هذا النكاح.

ولا يسعنا ونحن نقرا راى الخليفه هنا وتبريره للمنع سوى التذكير بمااسلفنا الحديث عنه من تاثر الخليفه عمر بمعطيات بيئته الاجتماعيه والقيميه التى جا الاسلام لتصحيحها، وعدم القدره على الانسجام – فى كثير من الموارد – مع روح التغيير التى حملتها تعاليم الرساله الاسلاميه وتشريعاتها لذلك الواقع.

فالضروره التى احتج الخليفه بعدمها لتسويغ النهى كانت تحت نظره وفى مدى سمعه، واعراض المسلمين او عدم حماسهم – لو وقع – لهذا النكاح لا يدل على اكثر من ارتفاع الحاجه اليه والاكتفا عنه بالزواج الدائم، او على الحساسيه التى يحملها الناس يومذاك لاصل العلاقه الموقته بالمراه. الحساسيه التى نرى انها كانت الدافع من ورا تحريم الخليفه للمتعه. واما الحوادث المتعلقه بالمتعه والتى كانت وقعت ايام خلافته فلم تكن سوى مناسبه للتعبير عن هذاالحساسيه والموقف الرافض اصلا لهذا النوع من النكاح. فمتعه النساشانها شان شريكتها فى سخط الخليفه وقرينتها فى التحريم، متعه الحج، لم يصادف تشريعها هوى فى نفس الخليفه الذى اضمر لها ما وقع، واتخذ من عدم حاجه الناس اليها – كما يقول – فى حال السعه ذريعه للمنع، مع اعترافه بعدم صدور النهى عن رسول الله لهذا النكاح بقوله: (متعتان كانتا على عهدرسول الله...).

«5» الموولون وتحريم المتعه

لانعتقد ان قضيه شغلت بال الموولين لاجتهادات الخليفه عمر واتعبت مسعى المعتذرين فى مضمار الاعتذار والتبرير اكثر من هذه القضيه.

ذكرنا فى مطلع هذا البحث ان هذه المفرده من اجتهادات الخليفه خضعت لنفس آليه التبرير والتاويل التى خضعت لها اجتهاداته الاخرى، وان هناك اتجاها لدى هولا لاحلال مواقف عمر واجتهاداته محل سنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رسول الله(ص). وهذا الاتجاه وان لم يكن مقصودا ومباشرا فى منهج هولا التبريرى الا انه من الناحيه العمليه لا يودى الى غير هذه النتيجه، فان هولا المووليين لم يتعاملوا مع شخصيه عمر الواقعيه بحجمها البشرى المحدود وغيرالمعصوم، وانما تعاملوا مع الصوره التى تظافر فى رسمها التاريخ والسياسه والزمن والبيئه.. لهذا الرجل. وشخصيه هذه صورتها لابد ان تلتمس الاعذار عنها لما يترای للناظر انه هفوات فى سلوكها ومواقفها.وهذا ما حصل فعلا وسجله التاريخ، ليس فى هذه القضيه فحسب بل فى جميع القضايا التى انفرد فيها عمر وخالف فيها سنه رسول الله.

والملاحظ ان المعاصرين للخليفه ورغم تمسكهم بطاعته واذعانهم لمواقفه – ودرته ايضا – لم يتعاملوا معه على هذا النحو الذى جرى عليه المووليون. بل انهم كثيرا ما ناقشوه الحساب واحتجوا عليه بسنه رسول الله(ص) فى موارد خلافه عليها، وبعضهم عاد لمخالفته بعد وفاته وغياب شبح درته.

اخرج الحافظ ابن شيبه عن نافع: ان ابن عمر سئل عن المتعه.فقال: حرام.فقيل له: ابن عباس يفتى بها. قال: فهلا ترمرم بها فى زمان عمر((219)).

والمفارقه القاسيه فى اجتهادات عمر وتاويل من جا بعده لها ان هولاالمووليين اعطوا هذا الرجل من الحصانه والتسليم بما صدر عنه ماضن به هو نفسه على رسول الله(ص)! اذ لم ير لسنته(ص) فى كثير من الموارد ما رآه المووليون بعده من القداسه لاجتهاداته، فكانت نتيجه اجتهاداته ودفاع المووليين عنها هى التضحيه بسنه رسول الله(ص) واحلال سنه عمر مكانها فى هذه الموارد.لو عدنا الى منهج المووليين لتحريم عمر متعه النسا لوجدنا فى هذه القضيه– كما وجدنا فى متعه الحج – عنصرين ثابتين هما ادوات هولا المووليين وبضاعتهم فى التبرير، وهذان العنصران هما: ادعا النسخ، وتفسير نهى الخليفه على نحو يبرئه من مخالفه الكتاب والسنه.

فالذين تصدوا لمعالجه هذه القضيه فريقان، ادعى احدهما نسخ هذاالتشريع، ولهولا فى هذا تصويب وتصعيد، وتشريق وتغريب، فمنهم من قال بوقوع النسخ بالكتاب، واختلفوا فى تعيين الايه الناسخه اختلافافاحشا، ومنهم من قال بوقوعه بالسنه، واختلف هولا ايضا فى تعيين الزمان والمناسبه. ومع ان قول عمر:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(متعتان كانتا على عهد رسول الله وانانهى عنهما واعاقب عليهما) صريح فى عدم ورود نهى من الكتاب والسنه عن العمل بالمتعه، الا ان هولا الموولين استقتلوا فى اثبات النسخ وافتعال المناسبات والتواريخ لوقوعه، ومن هنا جا اضطرابهم واختلافهم فى تعيين الايه الناسخه او التاريخ والمناسبه التى شهدت هذا النسخ، وسيطلع القارىء الكريم فيما ياتى من البحث على تفصيل الاقوال فى هذه المساله.

واما الفريق الثانى فحيث لم يثبت لديه النسخ وجه همه للتعطى مع نهى الخليفه بشكل يبرئه ويظهر نهيه وكانه لا يتقاطع مع الكتاب والسنه وان خالفهما ظاهرا، وفيما يلى نموذجان لهذا التاويل:

ذكر القوشجى فى شرح التجريد ان عمر قال وهو على المنبر:

ايها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله(ص) وانا انهى عنهن واحرمهن واعاقب عليهن: متعه النسا، ومتعه الحج، وحى على خير العمل. ثم اعتذر عن هذابقوله: ان ذلك ليس مما يوجب قدحا، فان مخالفه المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهاديه ليس ببدع((220)). ولا نريد ان ننقاش القوشجى فى رايه العجيب، فان هذا سياتى فى محله، ولكننا نوجه سوالا تعليقا على هذا الراى: هل يجرو القوشجى بوصفه مجتهدا على مخالفه عمر فى اجتهاده فيفتى بحليه نكاح المتعه؟ لسنا متاكدين انه سيفعل ذلك لان صوره المجتهد الحاكم لدى هولا هى اقوى بكثير من صوره المجتهد العالم! والنموذج الثانى: ما اورده ابن القيم فى زاد المعاد، فانه بعد ان ذكر انقسام الناس الى طائفتين، طائفه ترى ان عمر هو الذى حرم المتعه، وطائفه ترى ان رسول الله هو الذى حرمها قال:

قيل: الناس فى هذا طائفتان: طائفه تقول:ان عمر هو الذى حرمها ونهى عنها، وقد امر رسول الله باتباع ما سنه الخلفاالراشدون... والطائفه الثانيه رات.. ان رسول الله حرم متعه النسا ((221)).

ولا يخرج ما ذكره ابن القيم هنا عما اوردناه قريبا من وجود عنصرين فى هذه القضيه وفريقين انقسما بحسب هذين العنصرين. وهو عين ما ذكرناه ايضا لدى الحديث عن متعه الحج وانقسام الموولين الى فريقين بحسب هذين العنصرين نفسهما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والحقيقه ان هذا التشابه فى الطرح ناجم عن التشابه فى المنطلقات التى صدر عنها المووِلون على اختلاف القضايا التى عالجوها، فان هولا جميعا كانوا ينطلقون من مسلمه واحده وهى ان صوره الخليفه يجب ان تبقى بعيده عن شبهه المخالفه لكتاب الله وسنه نبيه، ولا يهم المووِل ان كان ثبت لديه نسخ للتشريع او ثبت عنده ان عمر هو الذى حرمه.

فان الخليفه حتى فى حال مخالفته للسنه لا يكون مخالفا لها! بل تبقى صورته نقيه من شائبه المخالفه ما دام رسول الله امر باتباع سنه الخلفاالراشدين، وعمر احدهم. ولا يهم المووِل ايضا ان كان عمر هو الذى حرم المتعه ورسول الله احلها، ولا يهمه كذلك ان كان رسول الله امر باتباع سنه الخلفا الراشدين ام لم يامر، فليكن هذا الحديث ضعيفا لدى المووِل اوانه لم يطرق سمعه اصلا، فالصوره هى الصوره يجب الاستماته دونها فى كل حال. فهى ارث الابا للابنا ومحط القلوب، وهى وديعه التاريخ وصنيعه الزمن. ليكن هذا كله، فان عمر مجتهد ورسول الله كذلك، ومخالفه المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهاديه ليس ببدع كما يقول القوشجى!!.

حدود المتعه فى الاسلام :

1 – الاجره.

2 – الاجل.

3 – العقد المشتمل للايجاب والقبول.

4 – الافتراق بانقضاء المده او البذل.

5 – العده امه وحره، حائلا وحاملا.

6 – عدم الميراث.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ان هذه الحدود ذكرها الفقهاء فى مدوناتهم الفقهيه، والمحدثون فى الصحاح والمسانيد، والمفسرون فى ذيل‌الايه الكريمه الانفه، فوقع اصفاقهم على انها حدود شرعيه اسلاميه لا محيص عنها، سواء فيها من يقول بالاباحه‌الدائمه او بالاباحه الموقته المنسوخه، فاين يكون مقيل كلمه الرجل: انها من الانكحه الجاهليه التاريخيه ولم‌تكن باذن من الشارع؟ ومتى كان فى الجاهليه نكاح بهذه الحدود، وقد ضبطوا انكحتها وعاداتها وتقاليدهاوليس فيها ما يشابه نكاح المتعه؟ نعم، الرجل يتقول ولا يكترث لما يقول، وقد اسلفنا جمعا ممن ذكر حدود نكاح المتعه فى الجزء الثالث من‌كتاب الغدير((773)). ولماذا يكون ابن جريج مسرفا فى اتيان الفاحشه التى نزلت فى اشد المحرمات فى مزعمه موسى، ولو كان ابن‌جريج متهاونا بالدين، فلماذا اخرج عنه ائمه‌الحديث وارباب الصحاح الست كلهم، وحشو المسانيد مروياته‌واسانيده؟ وقد سمعوا منه اثنى عشر الف حديث يحتاج اليها الفقهاء((378))، ولو فسد مثله او فسدت روايته لوجب ان‌تمحى صحائف جم-ه من جوامع الحديث، ولا تبقى قيمه لتلكم الصحاح عندئذ، ولو كان‌كما يزعمه فلماذا اطرته ائمه الرجال بكل ثناء جميل؟ وكيف رآه احمد امام الحنابله اثبت الناس؟ وكيف كانوايسمون كتبه كتب الامانه((379))؟ ثم ماذا على الرجل ان عمل بما ادى اليه اجتهاده وهو يروى فى ذلك ثمانيه عشر حديثا؟ واما حديث عدوله عن‌رايه فان صدق نقل الرجل عن ابى عوانه وصدق اسناد ابى عوانه، ولو كان لبان وظهر وتناقلته الفقهاء، ولم‌ينحصر نقله بواحد عن واحد، ولا سيما وابن جريج هو ذلك المصر على رايه عمليا وعلميا، وانى احسب ان‌عزو العدول الى هذا الرجل لده عزوه الى حبر الامه عبدالله بن العباس الذى كذبه من كذبه كما عرفت.

واما ما عزاه موسى الى الحكومه الايرانيه فى ادخال المنع عن المتعه فى جمله اصلاحاتها ونسخها نسخا قطعيابتاتا، ومنعها منعا بتا فكبقيه مفتعلاته، فما اعوزته الحجه، وضاقت عليه المحجه، وغدا محجوجا اعيت عليه‌البراهين، الى ان محج((380)) وافك، واحتج بما لم تسمعه اذن الدنيا، وقابل الكتاب والسنه بتاريخ مفتعل على‌حكومه‌اسلاميه لم تات بشىء جديد قط فى المتعه، وعلى تقدير تحقق فريته فاى قيمه لذلك تجاه ما هتف به النبى‌الاعظم وكتابه المقدس؟

This file was downloaded from QuranicThought.com